

فلسطين

شهادة الأرض و التاريخ

إعداد: غيث عبد الرحيم

فلسطين
**طبقاتُ الأرض...
وامتدادُ التاريخ**
دراسةٌ تاريخيةٌ وأثرية
في استمراريةِ المكانِ والإنسانِ
إعداد:
غيث عبد الرحيم

الإهداء

إلى عائلتي الحبيبة، التي تعلّمتُ معها أن الأرض ليست مكانًا
نمرّ به، بل ذاكرة تُولد فيها، وانتماء نحمله، ومسؤولية لا تسقط
بالتقادم

مقدمة الكتاب

هذا الكتاب لا يسعى إلى سرد تاريخٍ مكتمل، ولا يدّعي امتلاك الحقيقة المطلقة، بل يحاول أن يُعيد ترتيب العلاقة بين الإنسان والأرض في مكانٍ كُتب عليه أن يكون حاضرًا في كل الأزمنة.

فلسطين ليست هامشًا في تاريخ المنطقة، ولا ساحة عبورٍ عابرة بين إمبراطوريات، بل فضاءً تراكميًّا، تشكّلت فيه الجغرافيا والإنسان والمدينة قبل أن تُكتب الروايات، وقبل أن تُرفع الشعارات.

يعتمد هذا الكتاب مقارنة تاريخية-أثرية، تقرأ الأرض بوصفها وثيقة، والمدينة بوصفها نصًّا مفتوحًا، والآثار بوصفها شواهد صامتة لا تنطق بالادعاء، بل بالاستمرارية.

لا يهدف العمل إلى نفي الآخر عبر الخطاب، بل إلى تفكيك السرديات عبر الوقائع، وإعادة الاعتبار للزمن الطويل الذي سبق الصراع وسيبقى بعده.

هذا كتاب عن فلسطين، كما عرفتها الأرض، لا كما أُريد لها أن تُروى.

القسم الأول: الأرض قبل التاريخ

الفصل 1: الجغرافيا التي صنعت التاريخ

الإطار الزمني التقريبي للفصل

من عصور ما قبل التاريخ حتى بدايات الاستقرار البشري المنظم لم تكن فلسطين يومًا رقعةً محايدة في حركة التاريخ، بل كانت منذ البدايات أرضًا تصنع المسار قبل أن تصنع الحدث.

قبل أن يُسَطَّر البشر التاريخ على رقّ الأرض والكتابة، كانت تحدّد الاتجاهات، وتفرض: الجغرافيا هنا تقوم بالدور الأعمق الإيقاع، وتصوغ علاقة الإنسان بالمكان.

أولًا: الموقع بوصفه قدرًا تاريخيًا

تقع فلسطين عند نقطة التقاء ثلاث كتل جغرافية كبرى

آسيا، وإفريقيا، والبحر المتوسط

:هذا الموقع جعلها

• ممرًا طبيعيًا للقوافل

• معبرًا للجيوش

• نقطة تماسّ بين أنماط حضارية مختلفة

لم يكن المرور عبرها خيارًا، بل ضرورة فرضتها الطبيعة.

ثانيًا: تنوّع الطبيعة وتعدّد أنماط العيش

تتميّز فلسطين بتنوّع جغرافي نادر في مساحة محدودة:

- السهل الساحلي
 - المرتفعات الوسطى
 - الأغوار
 - الصحراء الجنوبية
- هذا التنوع سمح بظهور:
- أنماط سكن مختلفة
 - اقتصاديات محلية متعدّدة
 - توازن بين الزراعة والرعي والتجارة
- فلم تتشكّل حياة واحدة، بل حيوات متجاورة ومتفاعلة.

ثالثًا: الماء والاستقرار المبكر

كان للمياه دورٌ حاسم في الاستيطان البشري المبكر. الينابيع، الأنهار، والأغوار الخصبة جعلت من فلسطين واحدة من أقدم مناطق الاستقرار الإنساني.

:تشير الشواهد الأثرية إلى

- تجمعات بشرية مبكرة
- أنماط زراعة أولية
- محاولات تنظيم للعيش الجماعي

هنا، لم يكن الاستقرار صدفة، بل نتيجة مباشرة لتوازن دقيق بين الإنسان والطبيعة

رابعًا: الجغرافيا كعامل صمود

لم تكن الجغرافيا نعمةً فقط، بل كانت أيضًا عامل تحدٍّ

. الجبال وفّرت حماية

. السهول فتحت المجال للغزو

. الموقع جذب القوى الكبرى

لكن هذا التناقض علّم سكان الأرض كيف يتكيّفون، لا كيف يختفون.

خامسًا: من المكان إلى المعنى

مع مرور الزمن، تحوّلت الجغرافيا من إطارٍ طبيعي إلى عنصرٍ مُشكّل للهوية.

الأرض لم تعد مساحة، بل ذاكرة.

والمكان لم يعد صامتًا، بل شاهدًا على تعاقب البشر لا انقطاعهم

خلاصة الفصل

قبل الدول، وقبل المدن، وقبل الأسماء، كانت الجغرافيا الفلسطينية هي النص الأول.

ومنها، بدأ التاريخ.

الفصل 2: الإنسان الأول وآثار الاستقرار

الإطار الزمني التقريبي للفصل

من العصر الحجري القديم حتى نهاية العصر الحجري الحديث لم يظهر الإنسان في فلسطين كعابرٍ مؤقتٍ، بل بوصفه جزءًا من إيقاع الأرض نفسها.

فلاستقرار هنا لم يكن قفزة مفاجئة، بل مسارًا بطيئًا تشكّل عبر آلاف السنين.

تشير المكتشفات الأثرية إلى أن فلسطين كانت من أوائل المناطق التي شهدت انتقال الإنسان من الصيد والجمع إلى الاستقرار النسبي وبدايات التنظيم الاجتماعي.

أولًا: الإنسان والصيد في العصور الأولى

في العصر الحجري القديم، اعتمد الإنسان على الصيد وجمع الثمار.

تكشف الأدوات الحجرية عن:

- معرفة مبكرة بالبيئة
 - مهارات تصنيع بدائية لكنها فعّالة
 - تنقل موسمي مدروس
- لم يكن الإنسان معزولًا عن الطبيعة، بل متفاعلًا معها، يتعلّم أكثر مما يسيطر عليها. منها

ثانيًا: النار والأداة وبداية الوعي

استخدام النار شكّل تحوّلًا حاسمًا:

- في الطهي
- في الحماية
- في تنظيم الحياة اليومية

كما تطوّرت الأدوات الحجرية من البساطة إلى التخصص، ما يشير إلى

- نمو المعرفة
- انتقال الخبرة بين الأجيال
- بدايات وعي جماعي

ثالثًا: من الكهف إلى التجمع

مع نهاية العصر الحجري القديم، بدأ الإنسان بالاقتراب من أنماط عيش أكثر استقرارًا.

تظهر الكهوف والملاجئ الطبيعية كنقاط سكن طويلة الأمد، لا كمحطات عابرة فقط

هذا التحوّل يعكس:

- ارتباطًا متزايدًا بالمكان
- إدراكًا لقيمة الاستقرار
- بدايات التنظيم الاجتماعي البسيط

رابعًا: الثورة الزراعية وبداية الاستقرار

في العصر الحجري الحديث، وقعت واحدة من أهم التحوّلات في تاريخ الإنسان.

بدأ الإنسان في فلسطين:

• بزراعة الحبوب

• بتدجين الحيوانات

• بتخزين الغذاء

هذا التحوّل غير:

• شكل القرية

• طبيعة العلاقات الاجتماعية

• مفهوم الزمن والعمل

لم يعد الإنسان ينتظر الطبيعة، بل بدأ يتفاعل معها بوصفها شريكًا

خامسًا: القرى الأولى وتنظيم الحياة

تشير الأدلة الأثرية إلى ظهور قرى منظمّة نسبيًا، ذات بيوت ثابتة ومساحات مشتركة.

ما يلفت الانتباه:

• توزيع المساكن

• أماكن التخزين

• الفصل النسبي بين الفضاءات

كل ذلك يدلّ على:

• تطوّر في التفكير الجمعي

• بدايات مفهوم الملكية

• تنظيم اجتماعي ناشئ

سادسًا: الطقوس والمعتقدات المبكرة

لم يكن الاستقرار ماديًا فقط، بل روحياً أيضاً.

تكشف اللقى الأثرية عن:

• طقوس دفن

• رموز بدائية

• تعامل خاص مع الموت

وهذا يشير إلى أن الإنسان لم يسكن الأرض فقط، بل بدأ يمنحها معنى

خلاصة الفصل

في فلسطين، لم يبدأ التاريخ مع المدن الكبرى، بل مع الإنسان الأول الذي اختار البقاء.

ومن هذا الاختيار، وُلد الاستقرار، وبدأت الحكاية الطويلة بين الإنسان والأرض.

الفصل 3: أريحا – المدينة التي سبقت التاريخ

الإطار الزمني التقريبي للفصل

من الألف العاشر قبل الميلاد حتى بدايات العصور التاريخية لا تُقدّم أريحا بوصفها مدينةً قديمةً فقط، بل بوصفها استثناءً في تاريخ العمران الإنساني.

فهنا، لم يتشكّل الاستقرار على هامش الزمن، بل في قلبه المبكر جدًا.

تُعدّ أريحا من أقدم مواقع الاستيطان البشري المستمر في العالم، ومثاليًا حيًا على أن فلسطين لم تكن مسرحًا للتاريخ، بل أحد صانعيه الأوائل.

أولًا: الموقع والبيئة الحاضنة

تقع أريحا في غور الأردن، في واحدة من أكثر المناطق انخفاضًا على سطح الأرض.

هذا الموقع وقر:

• مناخًا دافئًا

• موارد مائية دائمة

• أرضًا خصبة للزراعة المبكرة

لم يكن اختيار المكان عشوائيًا، بل استجابة دقيقة لفرص الطبيعة

ثانيًا: الاستيطان المبكر والتحصين

تشير الاكتشافات الأثرية إلى وجود تجمع بشري منذ الألف
العاشر قبل الميلاد.

ومن أبرز ما يميّز أريحا المبكرة:

• سور حجري ضخّم

• برج دائري داخلي

• تنظيم مكاني واضح

هذه العناصر تدل على:

• قدرة تنظيمية متقدّمة

• إدراك لمفهوم الدفاع

• وجود قيادة أو إدارة جماعية

التحصين هنا لا يعني الحرب فقط، بل حماية الاستقرار.

ثالثاً: الزراعة والاقتصاد المبكر

اعتمد سكان أريحا الأوائل على:

• زراعة الحبوب

• تخزين الغذاء

• استغلال المياه القريبة

هذا سمح بظهور:

• فائض غذائي

• استقرار سكاني طويل الأمد

• تنوّع في الأنشطة اليومية

لم تعد الحياة قائمة على الضرورة فقط، بل على التخطيط

رابعًا: العمارة الأولى ومعنى البيت

بيوت أريحا لم تكن ملاجئ مؤقتة، بل أبنية دائمة نسبيًا.

تميّزت بـ:

• جدران طينية

• أرضيات مُعدّة

• توزيع داخلي واضح

البيت هنا لم يكن مكان نوم فقط، بل وحدة اجتماعية متكاملة.

خامسًا: الطقوس والبعد الرمزي

تكشف اللقى الأثرية عن ممارسات رمزية لافتة، أبرزها التعامل الخاص مع الجماجم البشرية.

هذا يشير إلى:

• وعي بالأسلاف

• طقوس تذكارية

• مفهوم مبكر للهوية الجماعية

المدينة لم تُبنَ بالحجارة فقط، بل بالذاكرة أيضًا.

سادسًا: أريحا والاستمرارية الزمنية

ما يميّز أريحا ليس قِدَمها فقط، بل استمرارها عبر آلاف السنين.

رغم:

- التغيّرات المناخية
 - التحوّلات السكانية
 - تعاقب الثقافات
- بقي الموقع مأهولاً، يتحوّل دون أن ينقطع.

خلاصة الفصل

في أريحا، سبق الإنسان التاريخ المكتوب، وسبق المدينة مفهوم الدولة، وسبق الاستقرار معنى السلطة
هنا، بدأ العمران قبل أن يُسمّى، وبدأت فلسطين تُعرّف نفسها بوصفها أرض البداية.

القسم الثاني: الشعوب الأولى

الفصل 4: الكنعانيون – الإنسان والمدينة

لمحة عن صنّاع المرحلة

امتدّ الوجود الكنعاني في فلسطين وبلاد الشام تقريبًا من الألف الثالث قبل الميلاد حتى أواخر الألف الثاني قبل الميلاد. لم يكونوا جماعة عابرة أو قوة طارئة، بل سكانًا أصليين تشكّلوا مع الأرض وتشكّلت المدن بأيديهم.

الإطار الزمني التقريبي للفصل

من الألف الثالث قبل الميلاد حتى نهاية العصر البرونزي لم يدخل الكنعانيون فلسطين فاتحين، بل وُلدوا فيها حضاريًا فهم ليسوا صفحةً منفصلةً عن تاريخ الأرض، بل أول من أعطاه اسم المدينة، وأول من نظّم العلاقة بين الإنسان والمكان في إطارٍ حضريّ واضح.

أولًا: من القرية إلى المدينة

شهد العصر الكنعاني انتقالًا حاسمًا من التجمعات الريفية إلى المدن المنظّمة.

تميّزت المدن الكنعانية بـ:

- أسوار دفاعية
- بوابات محصّنة

• مركز إداري وديني

لم تكن المدينة مجرد تجمع سكني، بل وحدة سياسية-اقتصادية متكاملة

ثانيًا: المدينة بوصفها نظامًا اجتماعيًا

المدينة الكنعانية لم تُبنَ بالحجر فقط، بل بالعلاقات.

تشير النصوص والآثار إلى وجود:

• طبقات اجتماعية

• سلطة محلية (حاكم المدينة)

• تنظيم للعمل والحرف

هذا يدل على تطوّر مبكر في مفهوم الإدارة وتوزيع الأدوار داخل المجتمع

ثالثًا: الاقتصاد والتجارة

اعتمد الكنعانيون على اقتصاد متنوع:

• الزراعة في الداخل

• التجارة عبر الساحل

• تبادل السلع مع المناطق المجاورة

كانت المدن الفلسطينية حلقة وصل تجارية بين الداخل والبحر وبين الشمال والجنوب.

هذا الدور جعلها مزدهرة، لكن أيضًا هدفًا للقوى الكبرى.

رابعًا: اللغة والهوية

تُعدّ اللغة الكنعانية جزءًا من اللغات السامية الشمالية الغربية. وقد شكّلت أساسًا لغويًا لعدد من اللغات اللاحقة في المنطقة. اللغة هنا لم تكن أداة تواصل فقط، بل وعاء هوية ووسيلة تنظيم إداري وديني.

خامسًا: الدين والمدينة المقدّسة

كان للدين دور مركزي في الحياة الكنعانية. تميّزت المدن بـ:

- معابد مركزية
 - طقوس مرتبطة بالطبيعة
 - آلهة تعبّر عن الزراعة والخصب والمطر
- الدين لم يكن منفصلًا عن المدينة، بل جزءًا من بنيتها اليومية ونظامها الرمزي.

سادسًا: المدينة بين الاستقلال والتهديد

رغم تطوّر المدن الكنعانية، بقيت عرضة للضغط الخارجي. فموقع فلسطين جعل مدنها:

- مطلوبة اقتصاديًا
 - مستهدفة عسكريًا
 - محكومة بالتوازنات الإقليمية
- لكن اللافت أن الكنعانيين لم يختفوا مع أول تهديد، بل أعادوا التكيّف مرّة بعد مرّة.

خلاصة الفصل

مع الكنعانيين، دخلت فلسطين زمن المدينة.
لم تعد الأرض مجرد مجال للعيش، بل فضاءً منظمًا، تحكمه
العمارة، واللغة، والطقس، والذاكرة.
ومن هنا، بدأ التاريخ الحضري لفلسطين بأيدي أهلها الأوائل.

الفصل 5: العمران الكنعاني – الديانة واللغة

لمحة عن صنّاع المرحلة

امتدّ العصر الكنعاني في فلسطين خلال الألفين الثالث والثاني قبل الميلاد، وشكّل إحدى أقدم التجارب العمرانية المتكاملة في شرق المتوسط.

لم يكن الكنعانيون بناء مدن فقط، بل صانعي معنى، حيث تداخل العمران مع المعتقد، واللغة مع السلطة، والمدينة مع المقدّس.

الإطار الزمني التقريبي للفصل

من مطلع الألف الثالث قبل الميلاد حتى أواخر الألف الثاني قبل الميلاد

لم يكن العمران الكنعاني مجرد استجابة لحاجة السكن، بل

تعبيراً عن رؤية شاملة للعالم فالمدينة لم تُبن لتأوي الناس فقط

بل لتنظّم علاقتهم بالطبيعة، وبالسما، وبأنفسهم

أولاً: التخطيط العمراني ومعنى المدينة

تميّزت المدن الكنعانية بتخطيط واضح المعالم:

- مركز مرتفع (الأكربول)
- أحياء سكنية متدرجة
- أسوار تحيط بالمدينة
- بوابات منظمّة للحركة والدفاع

هذا التخطيط يعكس:

- فهمًا للسلطة
- إدراكًا للأمن
- تنظيمًا للحياة اليومية

العمران هنا ليس فوضويًا، بل نتاج معرفة وتجربة طويلة.

ثانيًا: العمارة بين الوظيفة والرمز

لم تكن المباني الكنعانية متشابهة، بل اختلفت باختلاف وظيفتها
نجد:

- القصور للإدارة والحكم
- البيوت للحياة اليومية
- المخازن للاقتصاد
- المعابد للطقوس

كل مبنى كان يؤدي وظيفة عملية، وفي الوقت نفسه يحمل دلالة رمزية واضحة.

ثالثًا: الديانة والفضاء المقدّس

شكّلت الديانة أحد أعمدة المجتمع الكنعاني.

ارتبطت المعتقدات بـ:

• الزراعة

• المطر

• الخصوبة

• دورة الفصول

وكانت المعابد غالبًا في قلب المدينة أو في أعلاها.

هذا الموقع يعكس مركزية المقدّس في الحياة العامة، وليس في الهامش

رابعًا: الطقوس ودورها الاجتماعي

لم تكن الطقوس الكنعانية شأنًا فرديًا، بل ممارسة جماعية.

أدّت الطقوس دورًا في:

• توحيد المجتمع

• تنظيم الزمن (مواسم، أعياد)

• تثبيت السلطة الدينية

وهكذا، تحوّل الدين إلى عنصر استقرار، لا إلى مجال انعزال.

خامسًا: اللغة بوصفها أداة حضارة

اللغة الكنعانية لم تكن مجرد وسيلة كلام، بل أداة تنظيم.

استُخدمت في الإدارة:

• التبادل التجاري

• الطقوس الدينية

• نقل المعرفة

وقد مثلت أساسًا لغويًا لتطور الأبجديات اللاحقة في المنطقة، ما يجعلها من أهم إسهامات الكنعانيين الحضارية.

سادسًا: الأبجدية وبداية الاختزال الحضاري

من أبرز إنجازات الكنعانيين الانتقال نحو أنظمة كتابة أبسط مقارنة بالكتابات التصويرية المعقدة

هذا التطور:

• سهّل التدوين

• وسّع دائرة المعرفة

• مكّن من تداول الأفكار

اللغة هنا لم تعد حكرًا على النخبة، بل أداة قابلة للانتشار.

سابعًا: العمران كذاكرة حيّة

ما بقي من المدن الكنعانية اليوم ليس مجرد أطلال، بل شواهد على نمط حياة متكامل.

المدينة كانت:

- مكانًا للعيش
- فضاءً للعبادة
- مركزًا للسلطة
- خزانًا للذاكرة

خلاصة الفصل

في التجربة الكنعانية، لم يكن العمران منفصلاً عن الفكر، ولا الدين عن المدينة، ولا اللغة عن الهوية. هنا، تشكّلت واحدة من أقدم الصيغ التي ربطت الإنسان بالمكان بوصفه وطنًا، لا محطة.

الفصل 6: الساحل الفلسطيني والفلسطينيون أو (البيلست)

لمحة عن صنّاع المرحلة

ظهر الفلسطينيون في الساحل الفلسطيني خلال أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد، واستقر وجودهم الأساسي حتى القرن العاشر قبل الميلاد تقريبًا.

كانوا جزءًا من موجات شعوب البحر، لكنهم في فلسطين لم يكونوا مجرد عابرين، بل جماعة أعادت تشكيل الساحل عمرانيًا وثقافيًا وتفاعلت مع محيطها المحلي بعمق

الإطار الزمني التقريبي للفصل

من أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد حتى القرن العاشر قبل الميلاد

لم يكن الساحل الفلسطيني هامشًا تابعًا للداخل، بل فضاءً مفتوحًا على البحر، يحمل إيقاعًا مختلفًا ومسارًا حضاريًا خاصًا. مع وصول الفلستيين، دخل الساحل مرحلة جديدة تداخل فيها المحلي بالوافد، والبحري بالبرّي.

أولاً: الساحل بوصفه فضاءً حضاريًا مستقلًا

تميّز الساحل الفلسطيني بـ:

- موانئ طبيعية
- اتصال دائم بشرق المتوسط
- حركة تجارة نشطة

هذا جعله:

- أكثر انفتاحًا ثقافيًا
 - أسرع في التفاعل مع التأثيرات الخارجية
 - مختلفًا في نمط العمران والحياة
- لم يكن الساحل تابعًا للداخل، بل شريكًا في تشكيل هوية المكان

ثانيًا: استقرار الفلسطينيين ونشوء المدن الساحلية

استقر الفلسطينيون في مدن رئيسية، أصبحت لاحقًا مراكز حضرية مؤثرة

تميّزت هذه المدن بـ:

- تخطيط عمراني واضح
 - أسوار دفاعية
 - مراكز إدارية وتجارية
- لم تكن المدن الساحلية مجرد نقاط بحرية، بل مدنًا متكاملة تمارس السلطة والتنظيم.

ثالثًا: التفاعل مع السكان المحليين

لم يعيش الفلسطينيون في عزلة، بل دخلوا في علاقة تفاعل مع سكان الداخل

تجلّى ذلك في:

- تبادل تقنيات البناء

- تأثيرات متبادلة في الفخار
 - تداخل في أنماط العيش
- هذا التفاعل أفرز ثقافة ساحلية مميّزة، ليست وافدة خالصة ولا محلية صافية

رابعًا: الاقتصاد بين البحر والأرض

اعتمد اقتصاد الساحل على توازن واضح:

- التجارة البحرية
 - الصيد
 - الزراعة في السهول القريبة
- هذا التنوّع وفّر:
- استقرارًا نسبيًا
 - فائضًا اقتصاديًا
 - قدرة على الصمود أمام الأزمات
- لم يكن البحر بديلًا عن الأرض، بل امتدادًا لها.

خامسًا: العمارة والفن المادي

- تُظهر الآثار الفلسطينية:
- أنماط فخار مميّزة
 - عناصر زخرفية مختلفة
 - استخدامًا متقدّمًا لبعض التقنيات

لكن اللافت أن هذه العناصر لم تبقَ جامدة، بل تطوّرت مع الزمن بتأثير البيئة الفلسطينية.

سادسًا: الساحل كمساحة صراع وتوازن

نظرًا لموقعه، كان الساحل الفلسطيني عرضة للتنافس المستمر

• قوى بحرية

• قوى برّية

• مصالح تجارية

لكن هذا الضغط لم يؤدِّ إلى انقطاع الحياة، بل إلى تطوير آليات تكيف في الإدارة وال عمران

سابعًا: الفلسطينيون في الذاكرة التاريخية

لم يختفِ الفلسطينيون فجأة، بل ذابوا تدريجيًا في نسيج المنطقة. اختفى الاسم السياسي، لكن بقي الأثر الحضاري في المدينة، وفي الساحل، وفي التكوين السكاني.

خلاصة الفصل

في الساحل الفلسطيني، التقى البحر بالأرض وصنعا تاريخًا مختلف الإيقاع.

ومع الفلسطينيين، لم تُمَحَ هوية المكان، بل أضيفت إليها طبقة جديدة من التفاعل والتنوع.

هكذا، بقي الساحل مساحة عبور، لكن أيضًا مساحة استقرار وصناعة تاريخ.

القسم الثالث: فلسطين في العصور القديمة

الفصل 7: النفوذ المصري والآشوري والبابلي

لمحة عن صنّاع المرحلة

خلال الألفين الثاني والأول قبل الميلاد، دخلت فلسطين ضمن مجال النفوذ المباشر أو غير المباشر لثلاث قوى كبرى في الشرق الأدنى القديم:

المصريون، ثم الآشوريون، ثم البابليون.

لم تكن هذه القوى متشابهة في أسلوبها، لكنها اشتركت في إدراك أهمية فلسطين بوصفها عقدة جغرافية وسياسية لا يمكن تجاوزها.

الإطار الزمني التقريبي للفصل

من القرن السادس عشر قبل الميلاد حتى القرن السادس قبل الميلاد

لم تكن فلسطين مركز الإمبراطوريات، لكنها كانت طريقها الإيجباري.

ولهذا، لم تُترك يوماً خارج حساب القوة، ولا خارج خرائط النفوذ.

أولاً: النفوذ المصري – السيطرة غير المباشرة

في العصر البرونزي المتأخر، فرضت مصر القديمة نفوذها على فلسطين دون أن تحوّلها إلى إقليم مصري كامل.

اتسم الحضور المصري بـ:

- إدارة عبر حكام محليين
- مراقبة طرق التجارة

• وجود عسكري محدود في نقاط استراتيجية

لم تسع مصر إلى تدمير المدن، بل إلى إبقائها فاعلة تخدم المصالح الإقليمية

ثانيًا: فلسطين في الوثائق المصرية

تذكر النصوص المصرية مدن فلسطين بوصفها كيانات قائمة بذاتها، ذات أهمية سياسية وتجارية.

هذا يدل على:

- اعتراف بوجود عمران محلي
- تعامل دبلوماسي مع المدن
- فهم فلسطين كمنطقة منظمّة لا فراغًا

ثالثًا: النفوذ الآشوري – الإدارة بالقوة

مع مطلع الألف الأول قبل الميلاد، دخلت فلسطين مرحلة أكثر قسوة تحت السيطرة الآشورية.

تميّز النفوذ الآشوري بـ:

- تدخل عسكري مباشر
- فرض الجزية
- إعادة تنظيم السلطة المحلية

كانت الإمبراطورية الآشورية تركّز على السيطرة السريعة وضمّان الموارد، لا على الاندماج الثقافي.

رابعًا: أثر الحكم الآشوري على المدن

رغم شدّته، لم يؤدِّ الحكم الآشوري إلى اختفاء المدن الفلسطينية

بل تشير الآثار إلى:

- استمرار الاستيطان
 - إعادة استخدام المراكز الحضرية
 - تغيير في البنية الإدارية
- القمع لم يُلغ الحياة، لكنه أعاد تشكيلها.

خامسًا: النفوذ البابلي – التحوّل الحاسم

في القرن السادس قبل الميلاد، ورث البابليون النفوذ الآشوري بعد انهياره

تميّزت المرحلة البابلية بـ:

- حملات عسكرية واسعة
 - تفكيك بعض البنى السياسية
 - تغييرات ديموغرافية محدودة
- كانت هذه المرحلة أكثر اضطرابًا، وأقل استقرارًا من سابقتها.

سادسًا: فلسطين بين الإمبراطوريات

لم تكن فلسطين ضحية صامتة، ولا تابعًا بلا دور.

المدن الفلسطينية:

- فاوضت
- تحالفت
- قاومت أحيانًا
- وتكيّفت غالبًا

هذا السلوك يعكس وعيًا سياسيًا محليًا وقدرة على البقاء رغم تعاقب القوى.

سابعًا: الأثر الأثري للنفوذ الإمبراطوري

تكشف اللقى الأثرية عن:

- عناصر معمارية وافدة
- تغيير في أنماط الإدارة
- استمرار البنية السكنية

الإمبراطوريات مرّت، لكن المدن بقيت، تتبدّل دون أن تنقطع.

خلاصة الفصل

في هذه المرحلة، لم تكن فلسطين طرفاً فقط، بل مساحة صراعٍ دائمٍ بين القوة والمكان. تعاقبت الإمبراطوريات، لكن الأرض احتفظت بذاكرتها، والمدن واصلت الحياة ولو تحت أثقال السياسة.

الفصل 8: الفرس والإغريق

لمحة عن صُناع المرحلة

امتدّ النفوذ الفارسي الأخميني في فلسطين من أواخر القرن السادس قبل الميلاد حتى نهاية القرن الرابع قبل الميلاد، ثم دخلت المنطقة مرحلة جديدة مع قدوم الإغريق بعد حملات الإسكندر المقدوني.

لم تكن هذه المرحلة صدامًا حضاريًا بسيطًا، بل زمن تراكب إداري وثقافي ترك أثره العميق في المدن والهوية

الإطار الزمني التقريبي للفصل

من عام 539 قبل الميلاد حتى أواخر القرن الرابع قبل الميلاد شهدت فلسطين في هذه المرحلة انتقالًا من إدارة إمبراطورية شرقية إلى نموذج عالمي جديد يحمل رؤية مختلفة للسلطة والثقافة.

أولاً: الحكم الفارسي – الإدارة والمرونة

اعتمد الفرس الأخمينيون نظامًا إداريًا يقوم على اللامركزية. تميّز حكمهم بـ:

- الإبقاء على الهياكل المحلية
- احترام العادات الدينية
- تنظيم الضرائب دون تدمير الاقتصاد

كانت فلسطين جزءًا من إقليم أوسع، لكنها احتفظت بقدر من الخصوصية الإدارية.

ثانيًا: المدن في العصر الفارسي

تشير الأدلة الأثرية إلى:

• استمرار الاستيطان الحضري

• إعادة استخدام المدن القديمة

• تطوّر شبكات الطرق

لم يكن الهدف الفارسي إعادة تشكيل المدن ثقافيًا، بل ضمان استقرارها ضمن المنظومة الإمبراطورية.

ثالثًا: فلسطين في شبكة المتوسط

خلال العصر الفارسي، ازدادت أهمية فلسطين التجارية أصبحت:

• حلقة وصل بين مصر وبلاد الرافدين

• ممرًا للقوافل

• جزءًا من شبكة المتوسط الواسعة

هذا الانفتاح مهّد لاحقًا للتأثيرات الإغريقية.

رابعًا: الدخول الإغريقي والتحوّل الثقافي

مع حملات الإسكندر المقدوني، دخلت فلسطين عصرًا جديدًا.

لم يكن التحوّل فوريًا، بل تدريجيًا.

ظهر التأثير الإغريقي في:

. العمارة العامة

. الفنون

. الحياة الحضرية

لكن ذلك لم يُلغِ البنى المحلية السابقة.

خامسًا: الهلنستية كنموذج حضري

لم يكن النموذج الهلنستي فرضًا قسريًا للثقافة، بل إطارًا حضريًا مفتوحًا.

تميّز بـ:

. المدن المخططة

. الساحات العامة

. انتشار اللغة الإغريقية في الإدارة

هذا النموذج تعايش مع الواقع المحلي بدرجات متفاوتة.

سادسًا: المجتمع بين القديم والجديد

لم ينقسم المجتمع الفلسطيني ببساطة بين قبول ورفض.

بل شهدت كميًا تدريجيًا:

. انتقاء ثقافيًا

. مقاومة صامتة أحيانًا

الهوية لم تُمَحَ، بل أعادت تعريف نفسها.

سابعًا: الأثر الأثري للمرحلة

تكشف الآثار عن:

- مبانٍ عامة جديدة
 - إعادة تنظيم المدن
 - استمرار الأحياء السكنية التقليدية
- التحوّل كان واضحًا، لكنه لم يكن قطيعة.

خلاصة الفصل

في العصر الفارسي-الإغريقي، دخلت فلسطين زمن العبور الحضاري.

لم تتخلّ عن ماضيها، ولا ذابت كليًا في الوافد، بل سلكت طريق التفاعل، حيث تُختبر الهوية ولا تُلغى.

الفصل 9: المدن الفلسطينية في العصر الهلنستي

لمحة عن صُناع المرحلة

امتدّ العصر الهلنستي في فلسطين من أواخر القرن الرابع قبل الميلاد حتى منتصف القرن الأول قبل الميلاد تشكل هذا العصر تحت حكم سلالات إغريقية متعاقبة، لكنه في فلسطين لم يكن مجرد انعكاسٍ لنموذج وافد، بل مرحلة تفاعل عميق بين المدينة المحلية والنموذج الحضري الهلنستي.

الإطار الزمني التقريبي للفصل

من أواخر القرن الرابع قبل الميلاد حتى عام 63 قبل الميلاد لم تدخل المدن الفلسطينية العصر الهلنستي بوصفها فراغًا عمرانيًا، بل مدنًا قائمة، لها تاريخها، وشبكاتها، وذاكرتها. ولهذا، لم يكن التحوّل شاملاً ولا لحظيًا، بل مسارًا تدريجيًا أعاد تعريف المدينة دون أن يلغي جذورها.

أولاً: المدينة الهلنستية – الشكل والمضمون

تميّز النموذج الهلنستي للمدينة بـ:

• تخطيط شبكي للشوارع

• ساحات عامة مركزية

• مبانٍ إدارية وثقافية

• فضاءات مخصّصة للنقاش والتجمع

هذا النموذج سعى إلى تنظيم الحياة العامة وإبراز المدينة بوصفها مركزًا سياسيًا وثقافيًا

ثانيًا: التكيّف المحلي للنموذج الهلنستي

في فلسطين، لم يُطبّق النموذج الهلنستي بصورة حرفية. بل شهدنا:

- دمج التخطيط الجديد بالمدن القديمة
 - إعادة استخدام المراكز الحضرية السابقة
 - احتفاظ الأحياء السكنية بطابعها المحلي
- المدينة هنا لم تُهدم لتُعاد، بل أُعيد ترتيبها.

ثالثًا: الفضاء العام وتحولات الحياة اليومية

أدخل العصر الهلنستي مفهومًا أوسع للفضاء العام. أصبحت المدينة تضم:

- ساحات للنقاش
- أماكن للرياضة
- منشآت ثقافية

لكن هذه الفضاءات لم تُلغ الأسواق التقليدية ولا الحياة اليومية المحلية، بل تداخلت معها.

رابعًا: اللغة والإدارة في المدينة

انتشرت اللغة الإغريقية في الإدارة والتدوين الرسمي، خاصة في المدن الكبرى غير أن:

- اللغات المحلية استمرّت

- التداول الشفهي بقي حاضرًا
 - الهوية لم تُختزل بلغة واحدة
- اللغة هنا كانت أداة سلطة، لكنها لم تُلغ التعدّد.

خامسًا: الاقتصاد الحضري

ازدهر الاقتصاد الحضري في العصر الهلنستي بفعل:

- توسّع التجارة
 - اندماج المدن في شبكات المتوسط
 - تنوّع الحرف
- أصبحت المدن الفلسطينية مراكز توزيع وتبادل، لا مجرد محطات عبور.

سادسًا: التفاوت بين المدن

لم تتطوّر جميع المدن بالوتيرة نفسها.
فقد ظهرت:

- مدن ذات طابع هلنستي واضح
 - مدن حافظت على طابعها المحلي
 - مناطق ريفية أقل تأثرًا
- هذا التفاوت يعكس مرونة التجربة الفلسطينية، لا ضعفها.

سابعًا: الأثر الأثري للعصر الهلنستي

تكشف الحفريات عن:

- شبكات شوارع منتظمة
 - مبانٍ عامة جديدة
 - استمرار الاستيطان دون انقطاع
- العمران هنا يشهد على مرحلة إعادة تعريف لا قطيعة حضارية.

خلاصة الفصل

في العصر الهلنستي، لم تتحوّل المدن الفلسطينية إلى نسخٍ مستنسخة، ولا انغلقت على ذاتها. بل سارت على خطّ دقيق بين التفاعل والحفاظ، فأنتجت مدينة تعرف الوافد لكنها لا تنسى نفسها.

القسم الرابع: العصر الروماني والبيزنطي

الفصل 10: فلسطين تحت الحكم الروماني

لمحة عن صنّاع المرحلة

دخلت فلسطين تحت الحكم الروماني سنة 63 قبل الميلاد، واستمر هذا الحكم، بأشكاله المختلفة، حتى القرن الرابع الميلادي

لم يكن الرومان سكّان أرض بقدر ما كانوا مهندسي سلطة منظومة ، نقلوا فلسطين من فضاءٍ إقليميٍّ متقلّبٍ إلى جزءٍ من إمبراطورية واسعة تحكمها القوانين والطرق والحجارة .

الإطار الزمني التقريبي للفصل

من عام 63 قبل الميلاد حتى القرن الرابع الميلادي مع الرومان، دخلت فلسطين زمن الدولة المركزية الثقيلة، حيث لم تعد المدينة تُدار محلياً فقط، بل ضمن شبكة إمبراطورية تربط الأطراف بالمركز.

أولاً: الدخول الروماني وإعادة ترتيب السلطة

لم يدخل الرومان فلسطين كمجرد قوّة عسكرية عابرة، بل كمشروع حكم طويل الأمد.

تميّزت المرحلة الأولى بـ:

• إعادة تنظيم الأقاليم

• فرض سلطة قانونية مركزية

• الإبقاء على نخب محلية خاضعة

كان الهدف الاستقرار السياسي وضمن العائد الاقتصادي.

ثانيًا: القانون الروماني وأثره في الحياة اليومية

اعتمد الحكم الروماني على منظومة قانونية واضحة.

انعكس ذلك في:

• تنظيم الملكية

• تحديد الضرائب

• ضبط العلاقات بين السلطة والسكان

القانون لم يكن محايدًا دائمًا، لكنه وقر إطارًا ثابتًا أعاد تعريف علاقة الناس بالدولة.

ثالثًا: المدينة الرومانية – النظام والحجر

أعاد الرومان تشكيل المدينة بوصفها أداة حكم.

تميّزت المدن بـ:

• شوارع مستقيمة مرصوفة

• مبانٍ إدارية واضحة

• ساحات مركزية

المدينة أصبحت عرضًا مرئيًا للسلطة، وليست مجرد فضاء سكني

رابعًا: الاقتصاد بين الاستغلال والاستقرار

اعتمد الاقتصاد الروماني في فلسطين على:

• الزراعة

• الضرائب

• التجارة الإقليمية

رغم ثقل النظام الضريبي، وقرّ الحكم الروماني درجة من الاستقرار سمحت بازدهار بعض المدن.

خامساً: المجتمع المحلي تحت الحكم الروماني

لم يكن المجتمع الفلسطيني كتلة واحدة في موقفه من الحكم. ظهر:

• تعاون إداري

• توتر اجتماعي

• حركات رفض متقطعة

هذا التنوع يعكس حيوية المجتمع لا خضوعه المطلق.

سادساً: الأثر الأثري للحكم الروماني

تكشف الآثار عن:

• مدن مخططة بدقة

• منشآت عامة واسعة

• استمرار الاستيطان دون انقطاع

الحجر الروماني لم يُلغِ ما سبقه، لكنه فرض إيقاعه الخاص.

خلاصة الفصل

في العصر الروماني، تحوّلت فلسطين من ساحة نفوذ متقلب إلى إقليم داخل دولة عظمى.

لكن تحت طبقات الحجر والقانون، ظلّ المكان محتفظاً بذاكرته المحلية، ينتظر تحوّلاً جديداً سيأتي مع تغيّر العقيدة لا السلطة فقط.

الفصل 11: المدن، الطرق، والمسارح

لمحة عن صنّاع المرحلة

امتدّ العصر الروماني ثم البيزنطي في فلسطين من القرن الأول قبل الميلاد حتى القرن السابع الميلادي في هذه المرحلة، لم يكن صنّاع المشهد هم الحكّام وحدهم، بل المهندسون، والعمّال، والمدن نفسها، التي تحوّلت إلى أدوات ولغة عرض للقوة الإمبراطورية المكتوبة بالحجر.

الإطار الزمني التقريبي للفصل

من القرن الأول قبل الميلاد حتى أوائل القرن السابع الميلادي لم يكن العمران في هذه المرحلة زينة، بل سياسة مرئية. فالمدينة، والطريق، والمسرح كانت وسائل حكم بقدر ما كانت مرافق حياة.

أولاً: المدينة بوصفها نظاماً متكاملًا

لم تُبنِ المدن الرومانية عشوائيًا، بل وفق تصور واضح:

- مركز إداري
- ساحات عامة
- أحياء سكنية مننظمة
- منشآت خدمية

المدينة هنا أداة تنظيم المجتمع وضبط إيقاعه اليومي.

ثانيًا: الطرق – شرايين الإمبراطورية

أنشأ الرومان شبكة طرق واسعة ربطت فلسطين بمحيطها الإقليمي.

تميّزت الطرق بـ:

• دقّة في البناء

• ثبات في المسار

• ارتباط بالمراكز الحضرية

الطريق لم تكن للنقل فقط، بل للسيطرة، وتحريك الجيوش، وتدفق التجارة.

ثالثًا: أثر الطرق في توحيد المكان

أدّت الطرق إلى:

• تقليص العزلة بين المدن

• تسريع الحركة الاقتصادية

• تعزيز الإدارة المركزية

لم تعد المدينة جزيرة، بل عقدة ضمن شبكة.

رابعًا: المسارح والفضاء العام

شكّلت المسارح أحد أبرز رموز الحضور الروماني.

لم تكن المسارح للترفيه فقط، بل فضاءات:

• سياسية

• ثقافية

. اجتماعية

كانت مكانًا تُعرض فيه القيم الإمبراطورية وتُعاد صياغة العلاقة بين السلطة والجمهور

خامسًا: التلقي المحلي للمشهد العمراني

لم يكن السكان متلقين سلبيين.

تجلّى ذلك في:

. إعادة استخدام المباني

. تكييف الوظائف

. دمج العادات المحلية

العمران الروماني دخل الحياة اليومية، لكنه لم يمخّها.

سادسًا: الاستمرارية في العصر البيزنطي

مع التحوّل البيزنطي، لم تختفِ المدن والطرق، بل استُخدمت من جديد

أعيد توظيف:

. المسارح

. الساحات

. الطرق

مع تغيّر المعنى لا البنية.

سابعًا: الأثر الأثري اليوم

تكشف الآثار في فلسطين عن:

- مدن قائمة على طبقات
 - طرق لا تزال آثارها مرئية
 - مسارج تحوّلت إلى شواهد زمن
- الحجر هنا ذاكرة صامتة، لكنه ناطق لمن يعرف كيف يقرأه.

خلاصة الفصل

في هذا العصر، لم تكن المدن مجرد أماكن، ولا الطرق مجرد مسارات، ولا المسارج مجرد فضاءات عرض. كانت جميعها لغة سلطة، لكنها في فلسطين تحوّلت أيضًا إلى جزء من الذاكرة المحلية التي ستواصل الحياة حتى مع تغيّر العصور.

الفصل 12: المسيحية الأولى وآثارها

لمحة عن صنّاع المرحلة

امتدّ عصر المسيحية الأولى في فلسطين من القرن الأول الميلادي حتى القرن الرابع الميلادي، حين انتقلت المسيحية من جماعة دينية مضطهدة إلى ديانة معترف بها ثم مهيمنة في الدولة صنّاع هذه المرحلة لم يكونوا السلاطين فقط، بل الجماعات المحلية، والحجّاج، ورجال الدين، الذين أعادوا تعريف المكان دينياً وعمراً

الإطار الزمني التقريبي للفصل

من القرن الأول الميلادي حتى القرن الرابع الميلادي لم تدخل المسيحية فلسطين بوصفها سلطة سياسية، بل بوصفها حركة إيمانية، نشأت داخل المجتمع، ثم أعادت تشكيله تدريجياً.

أولاً: فلسطين كمسرح للنشأة الدينية

اكتسبت فلسطين مكانة خاصة باعتبارها فضاء النشأة الأولى. أصبح المكان:

- محمّلاً بالرمزية
- مرتبطاً بالذاكرة الدينية

• مقصدًا للحج المبكر

هذا أعطى الأرض بعدًا يتجاوز الجغرافيا.

ثانيًا: الجماعات المسيحية الأولى

تشير المصادر إلى نشوء جماعات مسيحية محلية داخل المدن والقرى.

تميّزت هذه الجماعات بـ:

• بساطة التنظيم

• الارتباط بالمجتمع المحلي

• غياب العمارة الدينية الكبرى في البداية

الإيمان سبق الحجر.

ثالثًا: التحوّل بعد الاعتراف الرسمي

في القرن الرابع الميلادي، دخلت المسيحية مرحلة جديدة بعد الاعتراف الرسمي بها.

أدّى ذلك إلى:

• بناء الكنائس

• تنظيم البنية الكنسية

• رعاية الدولة للمؤسسات الدينية

المكان بدأ يتغيّر بصريًا.

رابعًا: العمارة الدينية المسيحية

تميّزت العمارة المسيحية المبكرة بـ:

- كنائس بازيليكية
- استخدام رمزي للفراغ
- دمج مواقع مقدّسة سابقة
- لم تُمَحَ الطبقات السابقة، بل أُعيد تأويلها.

خامسًا: أثر الحج على المدن

أدّى تزايد الحج إلى:

- توسّع عمراني
 - نشاط اقتصادي
 - نشوء مرافق خدمية
- المدينة الدينية أصبحت واقعًا اقتصاديًا أيضًا.

سادسًا: التعايش الديني والاجتماعي

رغم صعود المسيحية، لم تُلغ الديانات الأخرى فورًا.
شهدت فلسطين:

- تداخلًا دينيًا
 - استمرار عادات سابقة
 - تحولات تدريجية لا فجائية
- المشهد كان معقدًا لا أحاديًا.

سابعًا: الأثر الأثري للمسيحية الأولى

تكشف الآثار عن:

- كنائس مبكرة
 - فسيفساء دينية
 - شبكات حج
- هذه الشواهد تؤثّق انتقال فلسطين من فضاء إمبراطوري إلى مركز ديني عالمي.

خلاصة الفصل

مع المسيحية الأولى، دخلت فلسطين زمن القداسة المؤسسية لم تعد الأرض فقط مسرحًا للتاريخ، بل حاملة للذاكرة الدينية، تُعاد زيارتها، وتُعاد قراءتها، جيلًا بعد جيل

القسم الخامس: العصر الإسلامي

الفصل 13: فلسطين قبل الفتح الإسلامي

لمحة عن صنّاع المرحلة

تمتدّ المرحلة السابقة للفتح الإسلامي في فلسطين خلال القرنين السادس وأوائل السابع الميلاديين، حين كانت البلاد تحت الحكم البيزنطي، وتعيش تحوُّلات دينية واقتصادية واجتماعية عميقة. صنّاع هذه المرحلة لم يكونوا السلطة وحدها بل المدن، والجماعات الدينية، والسكان المحليون الذين راكموا خبرة طويلة في التكيف مع تغيّر القوى.

الإطار الزمني التقريبي للفصل

من القرن السادس الميلادي حتى العقود الأولى من القرن السابع الميلادي

لم تكن فلسطين قبل الفتح الإسلامي أرضًا ساكنة، ولا فراغًا سياسيًا، بل إقليمًا مثقلًا بتاريخ طويل ومنهكًا من صراعات متكرّرة

أولًا: الوضع السياسي في أواخر العهد البيزنطي

في هذه المرحلة، كانت فلسطين جزءًا من الدولة البيزنطية، لكنها لم تكن في مركز الاهتمام السياسي.

تميّز الوضع بـ:

- إدارة مركزية بعيدة
- ثقل الضرائب

. ضعف القدرة على الاستجابة للأزمات
السلطة كانت قائمة، لكنها فقدت كثيرًا من مرونتها.

ثانيًا: المجتمع الفلسطيني وتعدّده

كان المجتمع الفلسطيني متنوعًا دينيًا وثقافيًا.
ضمّ:

- . جماعات مسيحية متعددة
 - . أقليات دينية أخرى
 - . سكانًا ريفيين مرتبطين بالأرض
- هذا التعدّد لم يكن مصدر ضعف، بل واقعًا تاريخيًا يتطلّب إدارة دقيقة.

ثالثًا: الاقتصاد بين الاستنزاف والاستمرار

عانى الاقتصاد من:

- . الضرائب المرتفعة
 - . تراجع التجارة الإقليمية
 - . آثار الحروب السابقة
- ومع ذلك، استمرّت الزراعة، وبقيت المدن تؤدّي وظائفها الأساسية.

الاقتصاد لم ينهَر، لكنه كان هشًّا.

رابعًا: المدن عشية التحوّل

لم تكن المدن الفلسطينية مهجورة قبل الفتح.

بل كانت:

. مأهولة

. ذات بنى إدارية قائمة

. مرتبطة بشبكات طرق قديمة

غير أنّها كانت بحاجة إلى استقرار جديد أكثر من حاجتها إلى إعادة بناء.

خامسًا: الريف واستمرارية الحياة

في الريف، كان التغيير أقل حدة.

استمرّ:

. النشاط الزراعي

. نمط العيش التقليدي

. ارتباط الإنسان بالأرض

الريف احتفظ بإيقاعه، بعيدًا عن تقلّبات السياسة الكبرى.

سادسًا: الإرهاق الإمبراطوري

دخلت فلسطين قبيل الفتح مرحلة إرهاق سياسي وعسكري.

. صراعات متكرّرة

. استنزاف الموارد

. ضعف السيطرة الفعلية

هذا الإرهاق مهّد الأرض لتحوّل كبير قادم.

سابعًا: فلسطين على عتبة زمن جديد

لم يكن الفتح الإسلامي سيحدث في فراغ.

بل جاء إلى أرض:

. مأهولة

. منظمة نسبيًا

. تبحث عن استقرار

وهنا، يبدأ التحوّل الحقيقي، لا بالسلاح فقط، بل بطريقة إدارة المكان والناس.

خلاصة الفصل

فلسطين قبل الفتح الإسلامي لم تكن أرضًا بلا تاريخ، ولا مجتمعًا بلا بنية

كانت أرضًا تستعدّ لتحوّل، وسيكون هذا التحوّل أحد أكثر المنعطفات عمقًا واستمرارية في تاريخها الطويل.

الفصل 14: الفتح الإسلامي وإدارة الأرض

لمحة عن صنّاع المرحلة

امتدّ الفتح الإسلامي لفلسطين من العقود الأولى للقرن السابع الميلادي

وقاده المسلمون العرب ضمن مشروع توسّع سياسي-ديني لم يكن قائمًا على الإبادة أو الإحلال السكاني، بل على إعادة تنظيم السلطة وإدارة الأرض صنّاع هذه المرحلة لم يكونوا القادة العسكريين فقط بل الإداريون الأوائل، وأهل المدن، وسكّان الريف الذين شكّلوا معًا نموذج الحكم الجديد.

الإطار الزمني التقريبي للفصل

من العقود الأولى للقرن السابع الميلادي حتى أواخره

لم يكن الفتح الإسلامي لفلسطين حدثًا عابرًا في سجلّ الحروب بل تحوّلًا في طريقة فهم الأرض وإدارتها فالحدث لم يتوقّف عند دخول الجيوش بل بدأ فعليًا بعد أن سكت السلاح.

أولًا: الفتح بوصفه انتقالًا لا قطيعة

دخلت فلسطين مرحلة جديدة من تاريخها دون أن يُقدّم الفتح بوصفه محوًا لما سبق.

تشير الشواهد التاريخية إلى:

. الحفاظ على المدن القائمة

• استمرار الحياة اليومية

• تجنّب التدمير الواسع للبنية العمرانية

كان الهدف تثبيت الحكم، لا إفراغ الأرض.

ثانيًا: إدارة الأرض – من المركز إلى المحلي

اعتمدت الإدارة الإسلامية الأولى على مبدأ أساسي:

الأرض تُدار بسكانها، لا ضدّهم

ولذلك:

• أبقيت البنى الإدارية الفاعلة

• أعيد تنظيم الضرائب بما يتناسب مع الواقع المحلي

• مُنح المجتمع المحلي دورًا في إدارة شؤونه اليومية

هذا النموذج خفّ حدّة الصدمة السياسية، وساعد على استقرار سريع نسبيًا

ثالثًا: المدينة بعد الفتح

لم تُلغَ المدن، ولم تُهمل مراكزها، بل أعيد تعريف وظائفها.

• الساحات استمرّت

• الأسواق ازدهرت

• المباني الدينية الجديدة ظهرت تدريجيًا

المدينة لم تُفرض عليها هوية جديدة دفعة واحدة، بل دخلت في عملية تحوّل هادئة.

رابعًا: الريف واستمرارية الحياة

في الريف، كان التغيير أقلّ حدّة.
استمرّ:

- النشاط الزراعي
- نمط الحياة القائم
- ارتباط الإنسان بالأرض

وهذا الاستمرار يفسّر سرعة اندماج النظام الجديد، إذ لم يشعر الريف بانقطاع حادّ في نمط عيشه.

خامسًا: العدالة والشرعية

من أهم عناصر الإدارة الإسلامية المبكرة:

- وضوح النظام الضريبي
 - تحديد العلاقة بين السلطة والسكان
 - تقليل التمييز الديني في الحياة اليومية
- لم يكن النظام مثاليًا، لكنه قدّم نموذجًا مختلفًا عمّا عرفته فلسطين في قرون سابقة، نموذجًا يقوم على الشرعية والاستقرار أكثر من القهر.

سادسًا: الأثر الأثري للإدارة الجديدة

تكشف الآثار عن:

- استمرار استخدام المدن
- ظهور مبانٍ إدارية ودينية جديدة
- إعادة توظيف بعض المنشآت السابقة

لم يكن البناء كثيفًا في البداية، لكن التحوّل كان عميقًا في الوظيفة والمعنى.

سابعًا: فلسطين تدخل زمنًا جديدًا

مع أواخر القرن السابع الميلادي، لم تعد فلسطين مجرد إقليم خاضع لإمبراطورية بعيدة، بل جزءًا من عالم إسلامي ناشئ، له نظامه، ورؤيته، وطريقته في إدارة المكان. وهنا، يبدأ فصل طويل من الاستقرار النسبي، سيُترجم لاحقًا في العمران، وفي مركزية القدس، وفي تشكّل هوية جديدة للأرض والمدينة.

ملخص الفصل

أدخل الفتح الإسلامي فلسطين في إطار إداري وحضاري جديد، مع الحفاظ على استمرارية المدن والسكان، دون قطيعة جذرية مع البنية القائمة.

الفصل 15: القدس، المسجد الأقصى، وقبة الصخرة

لمحة عن صنّاع المرحلة

تشكلت ملامح القدس الإسلامية الأساسية منذ النصف الثاني من القرن السابع الميلادي الناشئ. حين أصبحت المدينة جزءًا مركزيًا من العالم الإسلامي صنّاع هذه المرحلة لم يكونوا الحكّام وحدهم بل البناؤون والفقهاء وسكّان المدينة الذين أعادوا تعريف القدس بوصفها مدينة مقدّسة حيّة لا مجرد رمز ديني .

الإطار الزمني التقريبي للفصل

من النصف الثاني للقرن السابع الميلادي حتى بدايات القرن الثامن الميلادي لم تُعامل القدس في العصر الإسلامي كمدينة هامشية أو تابعة بل كمركز روحي وعمراني ذو مكانة خاصة تتجاوز السياسة اليومية.

أولاً: القدس بعد الفتح – الاستمرارية لا القطيعة

بعد دخول القدس تحت الحكم الإسلامي، لم تُدمّر المدينة، ولم تُمحَ طبقاتها السابقة.

تشير الشواهد إلى:

. الحفاظ على النسيج العمراني

• استمرار الحياة الدينية المتعددة

• احترام الأماكن المقدّسة القائمة

التحوّل كان إداريًا وروحياً، لا تخريبياً.

ثانياً: المسجد الأقصى – المعنى والمكان

شكّل المسجد الأقصى قلب القدس الإسلامية.

لم يكن مجردّ بناء، بل فضاءً جامعاً:

• للعبادة

• للتعلّم

• للتجمّع الاجتماعي

الأقصى أعاد ربط المدينة بالمجال الإسلامي الأوسع، دون أن يفصلها عن محيطها المحلي.

ثالثاً: قبة الصخرة – العمارة والرمزية

مثّلت قبة الصخرة تحوّلاً معمارياً ودلالياً كبيراً.

تميّزت بـ:

• موقع مركزي في الحرم

• عمارة مميّزة

• لغة رمزية واضحة

لم تُبن القبة على هامش المدينة، بل في قلبها الرمزي، مؤكدةً مركزية القدس في الوعي الإسلامي المبكر.

رابعاً: القدس كمدينة مقدّسة مفتوحة

لم تتحوّل القدس إلى مدينة مغلقة دينيًا.
بل بقيت:

- متعددة الجماعات
- مفتوحة للحج
- متداخلة الوظائف

القداسة هنا لم تُقصِ الحياة اليومية، بل احتوتها.

خامسًا: الإدارة وال عمران في المدينة

اعتمدت الإدارة الإسلامية على الحفاظ على المدينة وتطويرها
تدريجياً.

شمل ذلك:

- تنظيم الحرم الشريف
- رعاية المنشآت الدينية
- الحفاظ على الطرق والأسواق
- العمران خدم الوظيفة الروحية، لا العكس.

سادسًا: الأثر الأثري للمرحلة

تكشف الآثار عن:

- استمرار الاستيطان الحضري
- مبانٍ دينية إسلامية مبكرة
- إعادة استخدام منشآت سابقة
- القدس لم تُبنَ من جديد، بل أُعيد تأويلها.

سابعًا: القدس في الذاكرة الإسلامية

مع هذه المرحلة، دخلت القدس الذاكرة الإسلامية بوصفها:

• مدينة الإسراء

• ثالث الحرمين

• مركزًا روحيًا دائم الحضور

لم تكن قداسة طارئة، بل بنية مستمرة ستصمد أمام تغيّر العصور

خلاصة الفصل

في القدس، التقت الأرض بالعمارة، والعمارة بالذاكرة.

لم تُختصر المدينة في مبنى واحد، ولا في زمن واحد، بل أصبحت فضاءً تراكمت فيه المعاني كما تراكمت الحجارة

القسم السادس: العصور الوسطى

الفصل 16: الصليبيون – الوجود والآثار

لمحة عن صنّاع المرحلة

امتدّ الوجود الصليبي في فلسطين من أواخر القرن الحادي عشر الميلادي حتى أواخر القرن الثاني عشر الميلادي. لم يكن الصليبيون مجتمعًا متجانسًا بل تحالفًا عسكريًا-دينيًا أوروبيًا جاء بدافع ديني وسياسي، واصطدم بواقع عمراني وبشري لم يكن فراغًا ولا هشًا.

الإطار الزمني التقريبي للفصل

من عام 1099 ميلاديًا حتى عام 1187 ميلاديًا

دخل الصليبيون فلسطين بوصفهم قوّة غزو، لا امتدادًا طبيعيًا للتاريخ المحلي، وهو ما انعكس بوضوح في طبيعة وجودهم وآثاره

أولاً: طبيعة الدخول الصليبي

تميّز الدخول الصليبي بـ:

- عنف واسع النطاق
- تدمير جزئي لبعض المدن
- إعادة توظيف قسري للمكان

لم يكن الهدف إدارة الأرض بسكّانها، بل السيطرة عليها وتغيير بنيتها السياسية والدينية.

ثانيًا: إعادة تشكيل المدينة

سعى الصليبيون إلى إعادة تعريف المدن الكبرى.

ظهر ذلك في:

- تحصين المدن
 - تحويل المباني الدينية
 - إنشاء قلاع داخل النسيج العمراني
- المدينة تحوّلت إلى مساحة عسكرية أكثر منها فضاء حياة.

ثالثًا: القلاع بوصفها لغة السلطة

شكّلت القلاع أبرز أثر معماري صليبي.

تميّزت بـ:

- مواقع استراتيجية
 - بناء حجري كثيف
 - انفصال نسبي عن المجتمع المحلي
- القلعة لم تكن مدينة، بل أداة مراقبة وسيطرة.

رابعًا: المجتمع المحلي تحت الحكم الصليبي

عانى المجتمع المحلي من:

- الإقصاء السياسي
- التمييز الديني
- الضغط الاقتصادي

لم يتحقق اندماج فعلي، وإنما كان الأمر تعايشًا قسريًا محدود الزمن.

خامسًا: الاقتصاد في زمن الصليبيين

اعتمد الاقتصاد الصليبي على:

- الضرائب
 - السيطرة على طرق التجارة
 - الدعم الخارجي
- كان اقتصادًا هشًا، مرتبطًا بالقوة العسكرية، لا بالاستقرار طويل الأمد.

سادسًا: الأثر الأثري للمرحلة الصليبية

تكشف الآثار عن:

- قلاع ضخمة
 - تحصينات حضرية
 - طبقات تدمير واضحة
- هذه الشواهد تعكس طبيعة وجود عسكري أكثر منه حضاريًا.

سابعًا: نهاية الوجود الصليبي

انتهى الوجود الصليبي بانكسار عسكري حاسم، كشف هشاشة المشروع وعدم تجذره في الأرض. لم يكن الانسحاب انسحاب سكان، بل انهيار سلطة.

خلاصة الفصل

لم يكن الوجود الصليبي مرحلة استقرار أو تفاعل، بل مرحلة قطيعة وصدام.

آثاره المعمارية بقيت شاهدًا، لا على الاندماج، بل على غربة المشروع عن المكان والناس.

لمحة عن صنّاع المرحلة

امتدّ حكم الأيوبيين ثم المماليك في فلسطين من أواخر القرن الثاني عشر الميلادي حتى أوائل القرن السادس عشر الميلادي تميّزت هذه المرحلة بعودة السلطة المحلية ذات الجذور الإقليمية وبمحاولة واعية لإعادة ترميم الأرض بعد مرحلة الصدام الصليبي صنّاع هذه المرحلة لم يكونوا السلاطين وحدهم،

بل القادة العسكريون

والفقهاء

والتجّار

وسكّان المدن والريف

الذين أعادوا للحياة انتظامها.

الإطار الزمني التقريبي للفصل

من أواخر القرن الثاني عشر الميلادي حتى أوائل القرن السادس عشر الميلادي

لم تكن هذه المرحلة مجرد انتقال في الحكم، بل مشروع إعادة بناء سياسية وعمرانية وثقافية.

أولاً: استعادة الأرض وإعادة الشرعية

بعد انتهاء الوجود الصليبي، دخلت فلسطين مرحلة استعادة شاملة.

تميّز الحكم الأيوبي بـ:

• إعادة توحيد المدن

- ترميم ما تهدّم
- إعادة ربط السلطة بالمجتمع المحلي
- الهدف لم يكن الانتقام، بل تثبيت الاستقرار.

ثانيًا: القدس في العهد الأيوبي

أعيد للقدس دورها المركزي.

ظهر ذلك في:

- إعادة فتح الحرم الشريف
- ترميم المنشآت الدينية
- استعادة الطابع الإسلامي للمدينة
- القدس لم تُحوّل إلى قلعة، بل إلى مدينة حيّة من جديد.

ثالثًا: المماليك ونموذج الحكم المؤسسي

مع انتقال السلطة إلى المماليك، أصبحت فلسطين جزءًا من دولة تعتمد على التنظيم الصارم.

تميّز الحكم المملوكي بـ:

- إدارة مركزية قوية
- ضبط الطرق التجارية
- اهتمام بالبنية التحتية

الدولة هنا حاضرة في التفاصيل اليومية.

رابعًا: العمران بين الوظيفة والرمزية

شهدت فلسطين في هذه المرحلة نشاطًا عمرانيًا ملحوظًا.

شمل ذلك:

- المدارس
- الخانات
- الجسور
- المساجد

العمران لم يكن استعراضياً، بل مرتبطاً بالحاجة والاستقرار.

خامساً: الاقتصاد والطرق التجارية

استفادت فلسطين من موقعها ضمن شبكات التجارة الإقليمية. ازدهرت:

- المدن الواقعة على الطرق
- الأسواق المحلية

• الخدمات المرتبطة بالحج والتجارة

الاقتصاد عاد ليكون جزءاً من الحياة لا تابعاً للحرب.

سادساً: المجتمع والتعدّد

حافظ المجتمع الفلسطيني على تعدّده الديني والثقافي.

شهدت المرحلة:

- استقراراً اجتماعياً نسبياً
- حضوراً قوياً للمؤسسات الدينية
- توازناً بين السلطة والمجتمع

لم يكن التعايش مثاليًا، لكنه كان قابلاً للاستمرار.

سابعًا: الأثر الأثري للأيوبيين والمماليك

تكشف الآثار عن:

- منشآت تعليمية ودينية
 - بنى خدمية واسعة
 - استمرارية الاستيطان الحضري
- الحجر في هذه المرحلة يحمل معنى الإصلاح لا الهيمنة.

خلاصة الفصل

مع الأيوبيين والمماليك، عادت فلسطين إلى منطق الأرض المستقرة، لا ساحة الصراع المفتوح. كانت مرحلة إعادة بناء طويلة النفس، رسّخت حضور المكان وأعادت إليه قدرته على الاستمرار.

الفصل 18: فلسطين في العهد العثماني

لمحة عن صنّاع المرحلة

دخلت فلسطين تحت الحكم العثماني في أوائل القرن السادس عشر الميلادي، وبقيت ضمن الدولة العثمانية قرابة أربعة قرون. صنّاع هذه المرحلة لم يكونوا السلاطين وحدهم، بل الإداريون المحليون، والعلماء، والتجّار، وسكّان المدن والقرى الذين شكّلوا معًا نسيج الحكم والحياة اليومية.

الإطار الزمني التقريبي للفصل

من أوائل القرن السادس عشر الميلادي حتى أوائل القرن العشرين الميلادي

تميّز العهد العثماني بطول مدّته، وهو ما جعله مرحلة تراكمية أكثر منه زمن تحوّلات فجائية.

أولاً: دخول الحكم العثماني وتنظيم الإقليم

لم يكن دخول العثمانيين نتيجة صراع محلي طويل، بل انتقالاً للسلطة ضمن توازنات إقليمية كبرى.

اعتمد الحكم الجديد على:

- تقسيمات إدارية واضحة
- ربط فلسطين بالمركز العثماني
- الإبقاء على نخب محلية فاعلة

الاستقرار كان أولوية أكثر من إعادة الصياغة الجذرية.

ثانيًا: الإدارة والضرائب

اعتمد النظام العثماني على تنظيم دقيق للأراضي والضرائب. ظهر ذلك في:

- سجلات رسمية للأموال
 - نظام ضرائبي ثابت نسبيًا
 - إشراك الوجهاء المحليين في الإدارة
- هذا النظام ضمن للدولة الموارد، وللمجتمع درجة من الاستقرار.

ثالثًا: المدن في العهد العثماني

لم تشهد المدن الفلسطينية تحولات عمرانية صادمة، بل تطوّرًا تدريجيًا.

تميّزت المدن بـ:

- استمرار الأسواق
 - ترميم المنشآت الدينية
 - نمو الأحياء السكنية
- المدينة بقيت فضاء حياة، لا مسرح سلطة فقط.

رابعًا: الريف والأرض

شكّل الريف العمود الفقري للحياة الاقتصادية. استمرّ:

- النشاط الزراعي

- الارتباط العائلي بالأرض
- نمط الحياة التقليدي
- الأرض كانت مصدر العيش وأداة الاستقرار.

خامسًا: القدس في العهد العثماني

حظيت القدس بعناية خاصة.

ظهر ذلك في:

- ترميم الحرم الشريف
 - تحصين أسوار المدينة
 - تنظيم شؤون الوقف
- القدس بقيت مدينة دينية حيّة ذات مكانة مركزية.

سادسًا: المجتمع والتنوع

حافظ المجتمع الفلسطيني على تعدّده.

شهدت المرحلة:

- تداخلًا دينيًا
 - حضورًا قويًا للمؤسسات الاجتماعية
 - توازنًا نسبيًا بين السلطة والسكان
- لم يكن المجتمع معزولًا، بل متفاعلًا مع محيطه الإقليمي.

سابعًا: الأثر الأثري للعهد العثماني

تكشف الآثار عن:

- منشآت دينية وخدمية
 - بيوت وأسواق قائمة
 - استمرارية عمرانية واضحة
- العمران العثماني لم يسعَ إلى الطغيان، بل إلى الخدمة والاستمرار.

خلاصة الفصل

يمثّل العهد العثماني مرحلة الاستمرارية الطويلة في تاريخ فلسطين.

لم يكن زمن مجد دائم، ولا عصر انحطاط مطلق، بل مرحلة حفظت الأرض وسكّانها حتى مطلع العصر الحديث.

القسم السابع: العصر الحديث

الفصل 19: الآثار في زمن الانتداب

لمحة عن صنّاع المرحلة

امتدّت مرحلة الانتداب في فلسطين من نهاية الحرب العالمية الأولى حتى منتصف القرن العشرين. في هذه المرحلة، لم يكن صنّاع المشهد الأثري هم السكّان وحدهم

بل الإدارات الأجنبية

والمؤسسات البحثية الغربية

والبعثات الأثرية

التي تعاملت مع الأرض بوصفها مختبرًا تاريخيًا أكثر من كونها وطنًا حيا

الإطار الزمني التقريبي للفصل

من العقد الثاني للقرن العشرين حتى منتصفه

لم يكن علم الآثار في هذه المرحلة علمًا محايدًا بالكامل، بل أداة تُستخدم ضمن سياق سياسي جديد فرض نفسه على الأرض والذاكرة.

أولًا: الآثار كإدارة معرفة

شهدت فترة الانتداب تنظيمًا واسعًا لأعمال التنقيب.

تميّز ذلك بـ:

- تأسيس دوائر آثار رسمية
- سنّ قوانين لحماية المواقع

• تصنيف المواقع الأثرية

لكن هذا التنظيم لم يكن منفصلاً عن الرؤية السياسية العامة.

ثانياً: البعثات الأجنبية ومنهج القراءة

قاد معظم أعمال التنقيب باحثون أجانب يحملون تصوّرات مسبقة عن تاريخ المكان.

انعكس ذلك في:

• تركيز انتقائي على فترات محدّدة

• إهمال طبقات تاريخية أخرى

• قراءة الموقع من زاوية واحدة

الآثار لم تُقرأ دائماً بوصفها تاريخاً متراكماً.

ثالثاً: تغييب السياق المحلي

غالبًا ما جرى التعامل مع السكان المحليين بوصفهم عمّالاً لا شركاء معرفة.

أدّى ذلك إلى:

• فصل الموقع عن مجتمعه

• تجاهل الذاكرة الشفوية

• تحويل الأرض إلى مادة بحث صامتة

المكان نُزِع من حياته اليومية.

رابعاً: المتاحف وتجميع اللقى

شهدت المرحلة نقل عدد كبير من اللقى الأثرية إلى متاحف خارج فلسطين.

هذا النقل:

- فكّك العلاقة بين الأثر ومكانه
- أعاد تعريف التاريخ خارج سياقه
- خلق أرشيفًا بعيدًا عن الأرض الأصلية
- الأثر تحوّل من شاهد محليّ إلى قطعة عرض.

خامسًا: القوانين الأثرية وحدودها

رغم سنّ قوانين حماية، إلا أنّها:

- خضعت لسلطة سياسية خارجية
- لم تُراعِ دائمًا حقوق السكان
- استخدمت أحيانًا لتقييد الوصول للأرض
- الحماية القانونية لم تعنِ عدالة تاريخية.

سادسًا: أثر المرحلة على الوعي التاريخي

أسهمت هذه المرحلة في:

- تشكيل سرديات جاهزة
- ترسيخ قراءات أحادية
- تهميش التاريخ القريب
- الآثار أصبحت جزءًا من خطاب لا من حوار.

سابعًا: إرث الانتداب الأثري

ترك زمن الانتداب إرثًا معقدًا:

• أرشيفًا غنيًا

• مناهج غير محايدة

• مواقع منفصلة عن ناسها

وهو إرث ما زال يؤثّر في فهم تاريخ فلسطين حتى اليوم.

خلاصة الفصل

في زمن الانتداب، لم يكن الصراع على الأرض وحده، بل على معنى التاريخ نفسه.

فالأثار لم تُستخدم فقط لفهم الماضي، بل لإعادة تشكيله وفق رؤية القوة المسيطرة.

الفصل 20: علم الآثار بين العلم والسياسة

لمحة عن صنّاع المرحلة

يمتدّ هذا الفصل عبر القرن العشرين وبدايات القرن الحادي والعشرين

حين لم يعد علم الآثار مجرد تخصص أكاديمي بل أصبح ساحة صراع على السردية والهوية صنّاع هذه المرحلة هم الباحثون والمؤسسات الأكاديمية ودوائر الآثار

والسلطات السياسية التي استخدمت العلم أحيانًا للفهم وأحيانًا أخرى للتبرير.

الإطار الزمني التقريبي للفصل

من بدايات القرن العشرين حتى الزمن المعاصر في هذا الزمن

لم يعد السؤال: ماذا نكتشف؟

بل: كيف نقرأ ما نكتشفه؟

ولصالح من؟

أولاً: وهم الحياد العلمي

يُفترض في علم الآثار أن يكون علمًا تجريبيًا محايدًا، لكن الواقع أثبت أن الحياد يتأثر بالسياق السياسي. يظهر ذلك في:

- اختيار مواقع دون غيرها
 - توجيه أسئلة البحث
 - تضخيم نتائج محدّدة
- العلم لا يعمل في فراغ.

ثانيًا: الانتقاء الزمني للسردية

من أخطر الإشكاليات التركيز على فترات بعينها وتجاهل ما سواها.

هذا الانتقاء أدّى إلى:

- اختزال تاريخ فلسطين
 - قطع الاستمرارية الحضارية
 - تقديم الماضي بوصفه لحظة واحدة
- التاريخ تحوّل من تراكم إلى مشهد مجتزأ.

ثالثًا: المصطلح بوصفه أداة سياسية

لم تعد اللغة محايدة.

استخدام مصطلحات معيّنة بدل غيرها ساهم في:

- إعادة تعريف المواقع

• تغيير دلالات المكان

• نزع الارتباط المحلي عنه

الاسم هنا ليس تفصيلاً لغويًا، بل موقفًا.

رابعًا: المؤسسات البحثية وحدود استقلالها

كثير من المؤسسات الأثرية عملت تحت مظلات سياسية أو تمويل موجّه.

هذا انعكس في:

• نتائج منشورة بعناية

• تفسيرات محسوبة

• إسكات قراءات بديلة

المعرفة خضعت لشروط القوة.

خامسًا: تهميش الرواية المحلية

غالبًا ما غابت الرواية الفلسطينية عن الدراسات الرسمية.

تمّ ذلك عبر:

• تجاهل المصادر المحلية

• إقصاء الباحثين الفلسطينيين

• التقليل من قيمة الذاكرة الشفوية

الصوت المحلي أبعد عن كتابة تاريخه.

سادسًا: مقاومة التسييس العلمي

في مقابل ذلك، برز تيار نقدي أكاديمي يسعى إلى:

- تفكيك السرديات المفروضة
 - إعادة قراءة الطبقات الأثرية
 - ربط الموقع بسكانه وتاريخه المتصل
- هذا التيار يعيد للعلم وظيفته الأخلاقية.

سابعًا: نحو علم آثار مسؤول

علم الآثار المسؤول لا يبحث فقط عن الحجر، بل عن الحقيقة المتعدّدة.

يقوم على:

- الشفافية
 - التعدّد السردى
 - احترام الإنسان والمكان
- العلم هنا أداة فهم لا أداة هيمنة.

خلاصة الفصل

في فلسطين، لا يمكن فصل علم الآثار عن السياسة. لكن يمكن—ويجب فصل العلم عن التوظيف الإيديولوجي

وهنا، لا يصبح الأثر شاهدًا صامتًا، بل دليلًا حيًا على تاريخ لا يقبل الاختزال

الفصل 21: ما الذي بقي؟ وما الذي طُمِس؟

لمحة عن صنّاع المرحلة

لا تنتمي هذه المرحلة إلى زمن واحد بل تمتدّ عبر قرون متراكبة صنعتها السلطة حينًا وصنعها الإهمال حينًا آخر لكن صاغها في النهاية الصراع على الذاكرة. صنّاع هذا الفصل هم المؤرّخون وعلماء الآثار والسلطات المتعاقبة والشعوب التي بقيت أو أُقصيت والمكان نفسه الذي قاوم الطمس بالصمت والحجر.

الإطار الزمني التقريبي للفصل

من العصور القديمة حتى الزمن المعاصر هذا الفصل لا يتعامل مع فترة تاريخية مغلقة، بل مع نتيجة تاريخ كامل

أولاً: ما الذي بقي في الأرض؟

رغم التدمير، ورغم تغيّر السلطات، ورغم محاولات إعادة كتابة التاريخ، بقيت فلسطين:
• مأهولة بلا انقطاع
• ذات استمرارية عمرانية

. محتفظة بأسمائها وطرقها وحقولها
الأرض لم تكن يومًا صفحة بيضاء.

المدن تغيّرت
لكن مواقعها ثابتة
القرى هُدمت
لكن آثارها لم تختفِ
الحقول أُعيد تقسيمها
لكن طبقات الزراعة تشهد لمن عملها.

ثانيًا: ما الذي طُمس عمدًا؟

لم يكن الطمس عرضيًا.

تمّ طمس:

. أسماء الأماكن الأصلية

. طبقات تاريخية كاملة

. روايات السكان المحليين

. استمرارية الوجود البشري

جرى التعامل مع التاريخ بوصفه أداة إثبات سياسي، لا سجلًا علميًا.

الطمس هنا ليس غيابًا للأثر، بل إخفاء متعمّد لمعناه.

ثالثًا: تفنيد الرواية الصهيونية من منظور تاريخي أثري

تقوم الرواية الصهيونية الحديثة على افتراضات مركزية، أبرزها:

. انقطاع الوجود السكاني في فلسطين

- غياب شعب متجذّر في الأرض
- أولوية سردية واحدة للتاريخ

لكن الشواهد التاريخية والأثرية تُسقط هذه الافتراضات:

1. **الاستمرارية السكانية** تظهر الطبقات الأثرية المتعاقبة وجودًا بشريًا متصلًا من العصور الكنعانية مرورًا بالرومانية والإسلامية وصولًا إلى العصور الحديثة.
2. **غياب الفراغ التاريخي** لا توجد فترة كانت فيها فلسطين أرضًا بلا سكان أو بلا نظام حياة.
3. **التعدّد الحضاري لا يعني الإلغاء** تعاقب الحضارات لم يُلغِ أهل الأرض، بل أعاد تشكيل أطر حكمهم.
4. **الآثار لا تدعم الإحلال السكاني** لا يوجد دليل أثري يثبت استبدالًا كاملًا للسكان في أي مرحلة تاريخية.

الرواية التي تتجاهل هذه الحقائق ليست قراءة تاريخية، بل بناء أيديولوجي.

رابعًا: فلسطين بوصفها أرضًا وهوية

فلسطين ليست فكرة مجردة، ولا نصًا دينيًا معزولًا، ولا نتيجة قرار سياسي حديث

هي:

- أرض مأهولة
- مجتمع متجذّر
- ذاكرة متصلة

والشعب الفلسطيني ليس طارئاً على المكان، بل امتداد تاريخي
تغيّرت أسماؤه ولهجاته وبقي جوهره

خامساً: مسؤولية العلم والتاريخ

في مواجهة الطمس، لا يكون دور التاريخ الصراخ، بل الدقّة.
ولا يكون دور علم الآثار إثبات حقّ بالقوة، بل كشف الاستمرارية
بالحقيقة.

العلم هنا ليس محايداً أخلاقياً، لكنه مسؤول معرفياً.

سادساً: ما الذي لا يمكن طمسه؟

يمكن هدم حجر، لكن لا يمكن هدم طبقة تاريخ.
يمكن تغيير اسم، لكن لا يمكن محو ذاكرة جماعية.
ويمكن تزوير سردية، لكن لا يمكن إلغاء حقيقة الأرض.

خلاصة الكتاب

هذا الكتاب لا يقدم فلسطين بوصفها ضحية فقط، ولا بوصفها رمزًا مجردًا، بل بوصفها **مكانًا حيًّا** له تاريخ متصل وسكان متجدِّرون كل فلسطين، من بحرّها إلى نهرها، هي أرض شعبها الفلسطيني، ليس بوصف ذلك شعارًا سياسيًا، بل حقيقة تاريخية تؤكّدها الجغرافيا، وتشهد لها الآثار، ويحفظها الزمن

قائمة المراجع

(مرتبة بحسب فصول الكتاب)

القسم الأول: الأرض قبل التاريخ

الفصل 1: الجغرافيا التي صنعت التاريخ

جامعة أكسفورد – قسم الجغرافيا التاريخية

The Geography of the Ancient Near East

جامعة كامبريدج – معهد الدراسات الكلاسيكية

Landscape and Early Human Settlement

جامعة شيكاغو – معهد الدراسات الشرقية

Studies in Ancient Near Eastern Geography

J. McNeill

Environmental History of the World

الفصل 2: فلسطين قبل التدوين

جامعة هارفارد – قسم دراسات الشرق الأدنى

Prehistoric Societies of the Levant

SOAS جامعة لندن

Archaeology Before Writing

جامعة لايدن – هولندا

Early Human Communities in the Levant

Graeme Barker
The Agricultural Revolution in Prehistory

الفصل 3: أريحا – المدينة التي سبقت التاريخ

جامعة روما – قسم الآثار

Jericho and the Origins of Urban Life

جامعة أكسفورد

Neolithic Cities of the Fertile Crescent

جامعة باريس (السوربون)

Early Urbanism in the Near East

Kathleen Kenyon

Excavations at Jericho

القسم الثاني: الشعوب الأولى

الفصل 4: الكنعانيون – الإنسان والمدينة

جامعة فيينا – معهد الدراسات الشرقية

Canaanite Civilization

جامعة برلين الحرة

Urban Life in Canaan

جامعة شيكاغو – الدراسات السامية

The Canaanites and Their Cities

Mark S. Smith
The Early History of God

الفصل 5: العمران الكنعاني والديانة واللغة

جامعة لايبزيغ – معهد اللغات القديمة

Canaanite Language and Religion

جامعة كامبريدج

Architecture and Belief in Ancient Canaan

جامعة مدريد المستقلة

Religion in the Ancient Levant

John Day

Yahweh and the Gods of Canaan

الفصل 6: الساحل الفلسطيني والفلسطينيون

جامعة أثينا – قسم الآثار المتوسطة

Sea Peoples and Coastal Societies

جامعة نابولي

Philistines and Mediterranean Trade

جامعة أكسفورد

Maritime Networks of the Ancient Levant

Trude Dothan

The Philistines and Their Material Culture

**القسم الثالث: فلسطين في العصور القديمة
الفصل 7: النفوذ المصري والآشوري والبابلي**

**جامعة القاهرة – قسم التاريخ القديم
Egyptian Influence in the Levant**

**جامعة أكسفورد
Assyrian and Babylonian Empires**

**جامعة شيكاغو
Imperial Control in the Ancient Near East**

**Marc Van De Mieroop
A History of the Ancient Near East**

الفصل 8: الفرس والإغريق

**جامعة برينستون
The Persian Empire**

**جامعة كامبريدج
Alexander and the Hellenistic World**

**جامعة أثينا
Greek Administration in the East**

**Pierre Briant
From Cyrus to Alexander**

الفصل 9: المدن الفلسطينية في العصر الهلنستي

جامعة السوربون

Hellenistic Cities of the Levant

جامعة فيينا

Urbanism in the Hellenistic East

جامعة لندن

Culture and Power in Hellenistic Cities

Getzel Cohen

The Hellenistic Settlements

القسم الرابع: العصر الروماني والبيزنطي

الفصل 10: فلسطين تحت الحكم الروماني

جامعة أكسفورد

Rome and the Provinces

جامعة شيكاغو

Roman Administration in the East

جامعة بولونيا

Imperial Rule and Local Societies

Fergus Millar

The Roman Near East

الفصل 11: المدن والطرق والمسارح

جامعة مدريد

Roman Urban Planning

جامعة فيينا

Road Networks of the Roman Empire

جامعة أكسفورد

Theaters and Public Space

John Humphrey

Roman Architecture

الفصل 12: المسيحية الأولى وآثارها

جامعة الفاتيكان

Early Christianity in the East

جامعة هارفارد

Archaeology of Early Christian Communities

جامعة أكسفورد

Pilgrimage and Sacred Space

Peter Brown

The Rise of Western Christendom

القسم الخامس: العصور الإسلامية

الفصل 13: الفتح الإسلامي لفلسطين
جامعة أكسفورد – مركز دراسات الشرق الأوسط
The Early Islamic Conquests

جامعة كامبريدج – قسم التاريخ الإسلامي
The Expansion of Early Islam

جامعة القاهرة – قسم التاريخ الإسلامي
الفتوحات الإسلامية في بلاد الشام

Hugh Kennedy
The Great Arab Conquests

Fred Donner
The Early Islamic Conquests

الفصل 14: فلسطين في العصر الأموي
جامعة برلين – معهد الدراسات الإسلامية
Umayyad Administration in Bilad al-Sham

جامعة دمشق – قسم التاريخ
المدن الشامية في العصر الأموي

جامعة أكسفورد
The Umayyad Caliphate

Gerald Hawting
The First Dynasty of Islam

الفصل 15: فلسطين في العصر العباسي والفاطمي

**جامعة هارفارد – مركز دراسات الإسلام المبكر
Abbasid State and Provincial Administration**

جامعة كامبريدج

Fatimid Egypt and the Levant

**جامعة السوربون – قسم التاريخ الوسيط
Islamic Cities in the Medieval Period**

Yaacov Lev

The Fatimid Caliphate

القسم السادس: الحروب الصليبية

الفصل 16: الحملات الصليبية الأولى

**جامعة أكسفورد – معهد التاريخ الوسيط
The First Crusade**

**جامعة كامبريدج – مركز دراسات الحروب الصليبية
Crusader States in the Levant**

جامعة برلين

Europe and the Crusading Movement

Thomas Asbridge

The Crusades: The Authoritative History

Christopher Tyerman

God's War

الفصل 17: مملكة القدس الصليبية

SOAS – جامعة لندن

Crusader Kingdom of Jerusalem

جامعة باريس – السوربون

Latin States in the Levant

جامعة بولونيا – قسم التاريخ الوسيط

Society in the Crusader East

Jonathan Riley-Smith

The Crusader States

الفصل 18: صلاح الدين واستعادة القدس

جامعة القاهرة – مركز الدراسات التاريخية

الدولة الأيوبية

جامعة أكسفورد – مركز دراسات الشرق الأدنى

Saladin and the Ayyubid State

جامعة دمشق – قسم التاريخ

تاريخ الدولة الأيوبية

Carole Hillenbrand

The Crusades: Islamic Perspectives

Malcolm Cameron Lyons

Saladin

القسم السابع: العصور المتأخرة والحديثة
الفصل 19: فلسطين في العصر المملوكي
جامعة شيكاغو – معهد الدراسات الشرقية
Mamluk Administration in Syria and Palestine
جامعة كامبريدج – قسم التاريخ الإسلامي
The Mamluk Sultanate

جامعة القاهرة
النظام الإداري في الدولة المملوكية
Amalia Levanoni
A Turning Point in Mamluk History

الفصل 20: فلسطين في العصر العثماني
جامعة أكسفورد – مركز دراسات الإمبراطورية العثمانية
Ottoman Provincial Administration

جامعة إسطنبول – قسم التاريخ
الدولة العثمانية في بلاد الشام
جامعة كامبريدج
Ottoman Palestine
Suraiya Faroqhi
The Ottoman Empire and the World Around It

Eugene Rogan
The Arabs: A History

الفصل 21: فلسطين في العصر الحديث
جامعة كولومبيا – مركز دراسات الشرق الأوسط
Modern History of Palestine

SOAS – جامعة لندن
Palestine in the Twentieth Century

جامعة برينستون
National Movements in the Middle East

Rashid Khalidi
The Hundred Years' War on Palestine

Ilan Pappé
A History of Modern Palestine

مراجع عامة إضافية
هذه المراجع استخدمت في أكثر من فصل من فصول
الكتاب:

Albert Hourani
A History of the Arab Peoples

William Cleveland
A History of the Modern Middle East

Philip Khuri Hitti
History of the Arabs

Peter Mansfield
The Arabs

UNESCO
World Heritage in the Levant

Encyclopaedia Britannica
History of Palestine

الإهداء
المقدمة

5	القسم الأول: الأرض قبل التاريخ.....
5	الفصل 1: الجغرافيا التي صنعت التاريخ.....
8	الفصل 2: الإنسان الأول وآثار الاستقرار.....
12	الفصل 3: أريحا – المدينة التي سبقت التاريخ.....
16	القسم الثاني: الشعوب الأولى.....
16	الفصل 4: الكنعانيون – الإنسان والمدينة.....
20	الفصل 5: العمران الكنعاني – الديانة واللغة.....
25	الفصل 6: الساحل الفلسطيني والفلسطينيون أو (الديليست).....
29	القسم الثالث: فلسطين في العصور القديمة.....
29	الفصل 7: النفوذ المصري والآشوري والبابلي.....
34	الفصل 8: الفرس والإغريق.....
38	الفصل 9: المدن الفلسطينية في العصر الهلنستي.....
42	القسم الرابع: العصر الروماني والبيزنطي.....
42	الفصل 10: فلسطين تحت الحكم الروماني.....
46	الفصل 11: المدن، الطرق، والمسارح.....
50	الفصل 12: المسيحية الأولى وآثارها.....
54	القسم الخامس: العصر الإسلامي.....
54	الفصل 13: فلسطين قبل الفتح الإسلامي.....
58	الفصل 14: الفتح الإسلامي وإدارة الأرض.....
62	الفصل 15: القدس، المسجد الأقصى، وقبة الصخرة.....
66	القسم السادس: العصور الوسطى.....
66	الفصل 16: الصليبيون – الوجود والآثار.....
70	الفصل 17: الأيوبيون والمماليك.....

74	الفصل 18: فلسطين في العهد العثماني.....
78	القسم السابع: العصر الحديث.....
78	الفصل 19: الآثار في زمن الانتداب.....
82	الفصل 20: علم الآثار بين العلم والسياسة.....
86	الفصل 21: ما الذي بقي؟ وما الذي طُمس؟.....

المراجع

